فكاهات

رواية

الكيد المردود (١)

بينما كان اثنان من رجال شحنة باريس يؤديان نوبة حراستهما في ليلة ١٣ يناير في شارع الاباليت وقد بلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل والثلج يتساقط كقطن النداف والريح تعصف عصفاً شديداً اذ بصرا في طرف الشارع برجلٍ يسير على مهل وهو مطرقٌ برأسهِ الى الارض ويداهُ في جيب دثارٍ طويلٍ وطوق الدثار يحجب نصف وجههِ وعلى رأسهِ قبعةٌ عالية . ثم ابصرا خلفهُ رجلاً يقرع الارض بحذآء ثقيل وهو متوكئٌ على عصا وعلى ظهرهِ صندوقٌ كبير فارتابا به وتقدما نحوهُ وامسك أحدهما بخناقهِ وصاح بهِ الى اين تذهب ايها الرجل . فرفع رأسهُ ونظر اليهما نظرة ابله ولم ينطق ببنت شفة . اما الرجل الذي كان ماشياً امامهُ فانهُ عند ما سمع صوت الشرطي اسرع خطوهُ حتى بلغ عربةً كانت تنتظرهُ فركب وسارت بهِ سيراً حثيثاً . ولما رأى الشرطيان ان حامل الصندوق لا يجيب بكلمة ساقاهُ الى ديوان شرطة الحيّ حيث أُنزل الصندوق عن ظهره وامر الضابط بطرحهِ في السجن وأوعز بفتح الصندوق فما رفعوا غطآءهُ حتى

(١) ملخصة عن الفرنسوية بقلم خليل افندي الجاويش

تراجعوا مذعورين لانهم رأوا فيهِ جثة امرأةٍ حسنآء عليها حلةٌ من الحرير الابيض المزركش ويداها مكتوفتان على صدرها وبينهما زهرة وردٍ جنيّة وهي مطعونةٌ في قلبها بخنجرٍ لهُ مقبض من العاج ونصلهُ غائصٌ الى المقبض. وبعد ساعةٍ وصل رئيس الشحنة ومعهُ ضابط وطبيب فاقبل الطبيب يفحص الجثة وجيء بالرجل من سجنهِ وكان نائماً نوم الفهد فاستنطقهُ الرئيس فلم يجب بكلمة فاوعز الى الضابط ان يطلق مسدساً في طرف الردهة فلم يبدِ حركة ولا التفت الى جهـة الطلقة فايقن انهُ اصمّ اخرس فامر بهِ فأعيد الى محبسهِ

وكان في باريس رجلٌ من اشهر رجال الشحنة السرية واحذقهم في كشف الجرائم يقال لهُ المسيو ليكوك دي جنتبلي كان قد اقام في هذه الحرفة عشرين سنة أحرز فيها ثروةً طائلة ثم اعتزلها واقام في منزلهِ . فلما اصبح الرئيس قصد منزل المسيو ليكوك المذكور ليستعين بهِ على كشف الجريمة وكان للمسيو ليكوك ولدٌ يدعى لويس يبلغ من العمر نحواً من ثمانٍ وعشرين سنة قد خطب لهُ فتاةً حسنآء غنية يقال لها تيريز ليكونت . فلما دخل الرئيس عليه وجد ولدهُ المذكور عندهُ وهو شابٌّ جميل الصورة اسمر اللون ذو لحية كثيفة وكان يشكو الى والدهِ برداً اصابهُ في الليلة البـارحة على اثر رجوعهِ من منزل صديقٍ لهُ اذ لم يجد عربة بعد خروجهِ فمشى نحو ساعةٍ على الثلج . فقصّ الرئيس على ليكوك تفاصيل الحادثة وسألهُ الاخذ بيدهِ في الوصول الى معرفة الجاني فاجابهُ لا شك ان الرجل الاخرس بريءٌ من الجريمة وانما القاتل رجلٌ غيرهُ استخدمهُ لحمل الصندوق وهو لا يدري

ما فيهِ وعندي ان افضل وسيلة لمعرفة الجاني ان تطلقوا سبيل الاخرس فيرشدكم الى منزلهِ دون أن يدري . أما سؤالك لي ان اتولى كشف الجناية بنفسي فهذا مما لا استطيعهُ ولكنني ادلكم على الجاسوس الانكليزي الذي اتى من لندرا في السنة الماضية وهو الذي يسمي نفسهُ تلبياك دي تنشبراي فانهُ خبير باكتشاف الجرائم فيمكنكم ان تعتمدوا عليهِ في الوصول الى معرفة الجاني

فخرج الرئيس من منزل ليكوك وسار توًّا الى السجن وأمر اثنين من حذّاق رجالهِ اسم احدهما بيدوش والآخر بيكاش بان يتنكرا ثم اطلق الاخرس من السجن وامرهما بان يتبعاهُ من بعيد . فسار الرجل سير غريبٍ تارةً يتلفت وتارةً يجلس او يمشي غير مهتدٍ الى مكان يعرفهُ او شخص يأنس بهِ ثم قفل راجعاً الى السجن . واتفق ان المسيو ليكوك كان مارًّا مع ولدهِ فرآهُ رئيس الشحنة وأخبرهُ بان طريقتهُ لم تسفر عن نتيجة . فاشار عليهِ بان يرسل الرجل في مركبة السجن الى المكان الذي أُمسك فيهِ ثم يطلق سبيلهُ فجرى على مشورتهِ ولما أُنزل الاخرس من المركبة وقف هنيهةً جامد البصر ثم اخذ يسير حتى وقف امام منزل صغير حولهُ سور من حديد وقرع الجرس مراراً فلم يفتح لهُ أحد . فخرج الرئيس من مركبتهِ واتى فقاد الاخرس اليها ووكل أحد الشرطيين بحراستهِ وامر الآخر بحراسة الباب وصعد هو الى المنزل . وكان اول ما رآهُ آثار أرجل على الثاج ممتدة من الشارع الى المنزل بعضها كبيرة وبعضها صغيرة فحسب أن الاولى آثار الاخرس لانهُ تبين فيها اثر مسامير حذآئهِ والثانية آثار قدم القاتل . ثم اجتاز

الدهايز فوجد فيهِ صناديق مبعثرة بينها صندوق يشبه صندوق الجثـة . ودخل احدى الغرف وكانت ردهة الاستقبال فرأى في الموقد أوراقاً محرَقة ووجد في غرفة أُخرى ساعة كبيرة منصوبة على الارض ومائدة عليها اوراق لعب مصفوفة اشكالاً وكرسيًّا ساقطاً قربها فقال في نفسهِ ان المرأة لابدَّ ان تكون قد قتلت هنا وهي تلعب لعباً يسمى عندهم « لعبة الصبر » واكثر من يلعبها العشاق والخطّاب . ثم دخل غرفة الاكل فوجد على المائدة أدوات الطعام مهيَّأةً لشخصين ولـكنها بلا نظام وفي الارض كرسيٌّ مكسور وبجانبهِ قطع صحون وشظايا زجاج وبقع دم . وتتبع رشـاش الدم فرآهُ متسلسلاً الى غرفةٍ أخرى دفع بابها واذا أمامهُ جثة ملقاة على ظهرها تبين لهُ انها جثة رجل يناهز الخمسين كبير الجسم قوي البنية وعليهِ لباس اهل النعيم وسلسلة ساعتهِ مدلاة من جيب صدرتهِ البيضآء وفي رأسهِ اثر ضربة بعصا ذات رأسٍ معدني محدَّد وجملة هيئتهِ تدل على انهُ من اكابر التجار وعلى ان قاتلهُ لم يبطش بهِ بغية ان يسلب ما معهُ . فعاد الى الباب وأمر الشرطي بان يعيد الاخرس الى السجن وأمر رفيقهُ بان يحرس السور ثم قال لهُ كن على حذر حتى اذا صفرتُ لك اسرعتَ اليَّ فاني سأرصد رجوع خادمة المقتولة لانها اختفت كما بلغني وهي قد تعود لتأخذ صناديق مولاتها . ثم صعد الى المنزل واختبأ في خزانة الساعة بحيث يرى ولا يُرى وعند منتصف الليل فُتح الباب ثم سمع وقع اقدام في الدهايز واقترب الداخل من الغرفة التي كان فيها ونادى « ماري . ماري . هل انت هنا » ولما لم يسمع جواباً أزاح ستار الباب وابرز رأسهُ منهُ وكان الرئيس قد انار شمعة

ضعيفة فلمح قبعة الرجل ولحية سوداء وفي تلك الساعة كان قد تعب و برد من طول الوقوف في ذلك الموضع الضيق فحبس عطسةً شديدة وسقطت صفارتهُ في الارض فلم يكن من الرجل الاّ انهُ انقضَّ كالشاهين وتناول مفتاح الساعة من على المائدة وأقفل بابها ووضع المفتاح في جيبهِ وهرب تاركاً صيادهُ في الفخ وخرج آمناً لان بيدوش عند ما رآهُ واراد ان يستوقفهُ ابرز لهُ اشارةً تدل على انهُ من موظفي ديوان الشحنة فظنّ ان الديوان أرسلهُ بمهمةٍ الى الرئيس فخلى سبيلهُ

ولما كان الصباح صعد بيدوش الى المنزل ونادى رئيسهُ فاجابهُ من داخل الخزانة بصوتٍ يشبه صياح الديك فكسر بابها واخرجهُ وقد أوشك ان يموت من شدة البرد والجمود . وسألهُ الرئيس عن امر الرجل فاخبرهُ فانهال عليهِ بالتوبيخ الشديد وهددهُ بالطرد فاقسم لهُ انهُ سيبذل وسعهُ في امساكهِ لانه حفظ هيئتهُ وملابسهُ . فامرهُ ان يذهب ويدعو لهُ رئيس شحنة الحي والجاسوس الانكليزي فاتى الاول ورأى جثة القتيل فقال انها جثة تاجر انسجة عظيم الثروة فُقد منذ يومين ثم وصل الثاني واتفق مع الرئيس على ان يتولى كشف الجريمة على شرط ان يكون طليق اليد في جميع مباحثه ووعد بيدوش بالف فرنك اذا قبض على القاتل

اما القتيلة فعرفوا انها انكليزية تدعى ماري فاسيت فحنطوا جثتها وعرضوها في محل الاموات العام وكان بيدوش ورفيقهُ بيكاش واقفين في غرفةٍ هنالك يتصفحان وجوه الذين كانوا يتوافدون افواجاً لمشاهدة الجثة حتى اذا كاد الظلام يرخي سدولهُ أوعز بيدوش الى رصيفهِ ان يخرج

ويترقب حركات فتىً خيّل لهُ انهُ هو ذلك الرجل المحتال الذي أفلت منهُ فبينا هو يبحث اذ رأى بين الجمع نشالاً انكليزياً يضع يدهُ في جيب امرأةٍ فتعاون مع بعض رفاقهِ على امساكهِ ثم فتش بيدوش جيوبهُ فوجد فيها محفظة من جلدٍ في جملة ما تحتوي عليهِ صورة المرأة المقتولة وخمسة صكوك مالية قيمة كلٍّ منها الف فرنك ورقعة عليها عنوان مدام ليكونت والدة خطيبة لويس ليكوك . فلما كان المسآء ولويس ليكوك في منزل خطيبتهِ وهم يتحدثون في امر العرس اذ دخل بيدوش عليهم متنكراً وكلف لويس أن يصحبهُ الى ديوان الشحنة ليسألوهُ عن سبب وجود صورة القتيلة في محفظتهِ المسروقة وبعد جدالٍ طويل أُجبر على ان يسير معهُ فسار وهو يقدّم رجلاً ويؤخر أخرى وحاول في الطريق ان يرشوهُ بالصكوك المالية ليطلق سبيلهُ فأبى

ولما وصل بهِ الى ديوان الشحنة استنطقهُ الرئيس فتلون في الجواب وتلعثم في الكلام وهو مصرٌّ على دعوى البرآءة فاركبهُ في عربةٍ وسار بهِ الى منزلهِ وبعد البحث وجد عندهُ عصاً ذات رأسٍ من رصاص ملوّث بالدم فثبت لهُ انهُ القاتل وحبسهُ

وفي اليوم التالي اتت خطيبتهُ ووالدتها الى منزل والدهِ تسألان عنهُ وهما في اشد حالات القلق ثم وفد رئيس الشحنة وابلغهُ ان ولدهُ محبوس وشرح له القضية فوقع عليهِ هذا الخبر وقوع الصاعقة واستأذن في مواجهة ولدهِ فأذن لهُ ولكن الولد بقي مصرًّا على إنكار كل الشبهات والقرائن المتقدم ذكرها فلم يبقَ لاثبات الجريمة عليهِ الا ان يجمعوا بينهُ وبين

الاخرس . وهنا أقنع الجاسوس رئيس الشحنة بانهُ يجب ان يكون الجمع بينهما في منزل المتهم دون ان يدري أحدهما بالآخر لانهُ اذا رآهُ الاخرس في السجن خاف ولم يبدِ ما يدل على انهُ يعرف القاتل ثم قال الجاسوس انهُ يذهب هو بنفسه ويأتي بالاخرس في عربةٍ مقفلة بحيلة غريبة وأمر بيدوش ورفيقهُ بان ينتظراهُ لدى باب السجن في الساعة الثامنة مساءً وهما متنكران واراهما المركبة التي سيسير فيها الى السجن

ولما كانت الساعة المعينة وقفت العربة نفسها تجاه المكان وكان السجان قد أخرج الاخرس موهماً اياهُ انهُ أطلق سراحهُ ولما خرج رأى العربة واقفة وبجانبها رجلٌ يشير اليهِ ان يأتي نحوهُ وكان لباسهُ كلباس الرجل الذي رآهُ الشرطيان في ليلة الواقعة ماشياً على الثاج فسار الاخرس الى ناحية العربة فاركبهُ الرجل على الفور وانطلق به كالريح . وظنَّ الشرطيان ان مهمتهما قد انقضت فهمَّا بالرجوع ولكنهما ما نقلا أرجلهما حتى بصرا بعربة أخرى تشبه العربة الاولى تماماً ونزل منها رجل لابس كالاول فاستولى عليهما دهشٌ عظيم وتقدم بيدوش منهما فرأى تلبياك الجاسوس فقال لهُ ماذا تنتظر لقد ذهب الاخرس وقُضي الامر . فاستغرب كلامهُ وقال لقد خدعتماني اذاً وإنَّ في الامر لدسيسة انتما اللذان دبرتماها دون شك لتوقعاني في تهلكة وأنت المذنب الاكبر يا بيدوش ولست اعلم بكم رشاك ليكوك لتخلّص ولدهُ من اصدق شاهد على جنايتهِ ...

***

وكان من نتيجة هذه الحادثة أن رئيس الشحنة طرد بيدوش بعد ان

حبسهُ اياماً وقد ايقن ان ليكوك استنبط تلك الحيلة لينجي ولدهُ من القتل . اما ليكوك فلبث ضائع الرشد وهو لا يدري ما يصنع فهجر منزلهُ وهام على وجههِ كالمجنون وبعد ثمانية ايام التقى بهِ بيدوش في حديقة التويلري فأخبرهُ بما جرى لهُ وسألهُ ان يصفح عنهُ لانهُ كان السبب في اتهام ولدهِ . فطيَّب ليكوك نفسهُ ثم أخذ بيدهِ فاجلسهُ الى جانبهِ واخذا يتحدثان في الامر لعلهما يهتديان الى شيءٍ من خفاياهُ فاسفر لهما البحث عن انهُ لا بدَّ من سرٍّ في امر العربة والاخرس وان دخول الجاسوس في هذه المسئلة لا يخلو من دسيسة ثم تفارقا على ان يوجّها كل بحثهما الى دخائل هذا الرجل والوقوف على جميع حركاتهِ وسكناتهِ والغرض الذي لاجلهِ قدم باريس واقام فيها تلك المدَّة . وفي الساعة العاشرة من مسآء ذلك اليوم ذهب بيدوش الى منزل ليكوك ومنذ ذلك الحين اختفت آثارهما من المدينة وخاف رئيس الشحنة عاقبة امرهما فبثَّ عليهما العيون والارصاد وبعد مضيّ ثلاثة اشهر انعقدت جلسة الجنايات وحكمت على المتهم بالقتل فباتت ايامهُ معدودة وتأهب الناس لليلةٍ مشهودة

***

اما ليكوك فانهُ سافر مع بيدوش الى لندرا وجعل هناك يستخبر عن مهمة تلبياك الجاسوس فعلم انهُ انما قدم باريس للبحث عن وَرَثة ضابطٍ انكليزي يدعى سوليڤان توفي في الهند عن ثروةٍ طائلة ولم تهتدِ الحكومة الى وَرَثتهِ . وبعدما وقف على سائر احوالهِ وسوابق حياتهِ انقلب عائداً الى باريس وقد تنكر بزيّ اميرٍ هندي وصبغ بيدوش وجههُ بالسواد وتنكر

بصفة خادمٍ لهُ . وحين وصولهِ نزل بفندقٍ من اعظم فنادق باريس واشاع انهُ قدم من الهند ليبحث عن وَرَثة رجلٍ انكليزي سماهُ باسم سوليقان ادّعى انهُ خلّص والدهُ من خطر القتل وانهُ يريدان يوصي لهم بمالهِ في مقابلة جميل والدهم . ثم احتال حتى اجتمع بالجاسوس واجرى امامهُ ذكر مقصدهِ فلما سمع الجاسوس ذلك استبشر وقال لهُ انا ابحث لك عن أولئك الوَرَثة وانهي اليك خبرهم بعد خمسة عشر يوماً

وفي اثناء ذلك كان بيدوش قد عرف رجلاً يدعى بطرس كمبريمر اخبرهُ ان تلبيك جاءهُ يوماً يستخبرهُ عن نسب امرأتهِ المتوفاة وان عندهُ صكاً قديماً يشير الى نسبها فاخذ بيدوش الصك منهُ وسلمهُ الى ليكوك فظهر لهُ منهُ ان الارث ينحصر في اربعة اشخاص احدهم تيريز ليكونت خطيبة ولدهِ وهي الوارثة الاولى ثم مرتا بنت كمبريمر وهي الوارثة الثانية ثم القتيلة واخٌ لها يقال لهُ جورج اتكنس . ثم ان ليكوك استمرّ في بحثهِ عن احوال الجاسوس فعرف ان لهُ منزلين متجاورين بضواحي باريس يقيم هو في احدهما مع خادمة القتيلة وهي امرأة خداعة متهتكة ويقيم بالآخر جورج اتكنس المذكور وهو رجلٌ سكير لا يكاد يصحو من سكرهِ ولا يبي شيئاً من دنياه

وبعد انقضاء الموعد المضروب بين الجاسوس والامير الهندي اقبل اليهِ الجاسوس واعلمهُ انهُ لم يبق من ورثة الضابط الانكليزي سوى شخصٍ واحد يسمى جورج اتكنس مقيم بضواحي باريس فعلم ليكوك من ثمّ ما يدبرهُ من المكايد وانهُ يروم اهلاك بقية الوَرثة وبعد ان لبث عندهُ هنيهةً قام وانصرف . وعلى اثر ذهابهِ جاء بيدوش فاخبر ليكوك انهُ

رأى كبريمر في ديوان الشحنة وقد حدث لهُ حادثٌ مريب وهو ان ابنتهُ مرتا خُطفت من منزلهِ في مدة غيابهِ أمس ذلك اليوم. فتحقق ليكوك المكيدة وقام من ساعتهِ فانطلق الى دار الشحنة وطلب منها ان تُصحِبهُ ببعض رجالها الى منزل الجاسوس بضاحية باريس فارسلت معهُ خمسة رجال فلما انتهوا الى هناك ارادوا دخول المنزل فانعهم مَن هناك من اتباع الجاسوس فدخلوا عنوةً بعد ما كسروا احد الابواب واخذوا يبحثون في غُرَف المكان فوجدوا تيريز خطيبة لويس ليكوك ومرتا كبريمر مطروحتين في جبٍّ في اسفل المنزل وهما مكتوفتان فاسرعوا وانتشلوهما وما كادوا يخرجون بهما الى الخارج حتى رأوا الجاسوس مقبلاً وهو يعربد وقد ايقن بافتضاح امرهِ وفي يدهِ مسدس يطلقهُ ذات اليمين وذات الشمال فاصاب احد رجال الشحنة برصاصةٍ وقعت في كتفه وأسرع الى السلَّم فدخل وأقفل ورآءهُ. وبينما همَّ القوم بكسر الباب والصعود اليهِ لامساكهِ اذا بالنار قد اشتعلت في المنزل واطلَّ الجاسوس من احدى النوافذ فاطلق عيارين اصاب باحدهما شرطيًّا آخر فالقاهُ قتيلاً ثم هوى البنآء بمن فيهِ وغاب في سحابةٍ من الدخان واللهيب فلم يتسنَّ بعد ذلك امساك احد من المجرمين لان النار كانت قد شوتهم وحوَّلتهم الى حُمَم

وبعد ذلك رجع ليكوك والبنتان ورجال الشحنة الى باريس واسرع ليكوك الى المحكمة فاعلن برآءة ولدهِ وطلب استحضارهُ فلما مثل بين ايدي القضاة أعيد استنطاقهُ فأعترف بأنهُ احبَّ القتيلة في انكلترا حين كان يتلقى العلوم فيها وبعد رجوعهِ جآءَت هي الى باريس بصحبة رجلٍ يقال لهُ هري

درموت (وهو الاسم الذي كان تلبياك معروفاً بهِ في ديوان الشرطة) واتخذت لها منزلاً بها فكان يزورها حيناً بعد آخر وتعلقها بعد ذلك التاجر الذي وُجد مقتولاً في منزلها واشتدَّت المزاحمة بينهما وكان التاجر يغار عليها منهُ الى ان كانت تلك الليلة فهجم التاجر عليهِ يقصد قتلهُ وهو جالسٌ الى المائدة فقتلهُ دفاعاً عن نفسهِ وخرج من المنزل والمرأة باقية فيهِ في قيد الحياة. ثم قصدها في الليلة التالية فلم يجدها ولا علم ما كان من امرها الى ان رآها بعد ذلك في معرض الاموات وفي ذلك الوقت انتشلت محفظتهُ وكانت فيها صورةٌ اعطتهُ اياها في لندرا تفاؤلاً بانهُ سيقترن بها يوماً . وذكر انها كثيراً ما كانت تشكو ظلم الرجل الذي جاء بها من لندرا وانهُ اراد ان يجبرها على الاقتران بهِ فأبت وعزمت على السفر وكانت تنوي ان تسافر في غد تلك الليلة

ثم قصَّ المسيو ليكوك ما اختبرهُ بنفسهِ من امر الجاسوس والميراث وبرهن على انهُ هو قاتل المرأة بكل ما اطلع عليهِ من البينات. ولما ثبت للمحكمة ان لويس بريء من مقتل المرأة وان قتلهُ للتاجر لم يكن الاّ دفاعاً عن نفسهِ صرَّحت ببرآءتهِ فلم يلبث ان أُطلق سراحهُ وورثت خطيبتهُ تلك الثروة كلها تبعاً للشريعة الانكليزية لانها اقرب الوَرَثة من الميت ثم زُفَّت الى خطيبها فتمت لهما السعادة والغبطة واقاما يرتعان في بحابح المسرة والهنآء بعد ما قاسيا من المشقة والعنآء وكوفئَ كل من شارك ليكوك في تبرئة ولدهِ على ما ابداهُ من المروّة والوفآء